

لا عذر لأحد على جهله والتحذير من عقوبات الأمم السابقة

فإذا علمنا أن هذه من آثار الجهل، فإن لها -أيضا- عقوبات وذلك لأن أهلها ولو ادعوا أنهم جهلة وأنهم لا يعرفون نقول لهم : لستم بمعذورين، فأنتم مسلمون وأنتم مكلفون وأنتم تعترفون بأن لكم شريعة، وبأن الله أنزل عليكم القرآن ، والرسول علمكم السنة وأورثكم إياها التي هي بيان للقرآن ، فليدركم الأدلة الواضحة وعندكم ما تستنبطون به فلا عذر لأحد في أن يبقى على هذا الجهل إذن فما هي الآثار : ألا تخافون أن يقع بكم ما وقع بغيركم من آثار هذه المخالفات وهذه المعاصي فإن الله -تعالى- عاقب من قبلنا بعقوبات متباينة شديدة بسبب الكفر والشرك والمعاصي وتكذيب الرسل إما قوليا أو فعليا فما الذي أخرج آدم من الجنة ؟ أخرج الله آدم من الجنة لذنب واحد لما أنه أكل من الشجرة وقد نهى عنها ، آدم أخرج من الجنة بذنب واحد، وأنتم تعملون الذنوب وتكثرون منها وترجون أن تدخلوا الجنة . وما الذي أغرق قوم نوح بالطوفان الذي ارتفع على رؤوس الجبال نحو سبعين ذراعا فوق رأس كل جبل أليس سببه التكذيب ؟ أليس سببه هو الشرك والمعاصي وهي قد فشت وانتشرت، وما الذي أهلك قوم عاد ؟ أرسل الله عليهم { رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أُعْجَازٌ تَحَلٍ مُّنْقَعِرٍ } { سَحَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَتَمَائِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى } ما الذي سبب ذلك ؟ أليس هو تكذيبهم ؟ أليس هو معصيتهم وذنوبهم ؟ وما الذي أهلك قوم صالح حيث أرسل الله عليهم صيحة، حيث صاح بهم ملك فتقطعت قلوبهم في أجوافهم؛ فأصبحوا صرعى كموت رجل واحد لما أنهم عقروا الناقة وقالوا: { يَا صَالِحُ انْتَبِهْ بِمَا تَعِدُّنَا إِنَّ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ } لا شك أن ذلك من آثار الجهل، وهكذا تتذكر عقوبة الله لقوم لوط لما أنهم فعلوا الفاحشة التي ما سبقهم بها من أحد من العالمين، وهو كونهم استحلوا نكاح الذكران ، قال تعالى : { أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ } فعاقبهم الله فأرسل لهم ملكا اقتلع بلادهم ورفعها حتى سمع أهل السماء نباح كلابهم ثم قلبها ، قال تعالى : { فَلَمَّا جَاءَ أُمَّرْتَا جَعَلْنَا عَلَيَّهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَابًا مِنْ سِجِّيلٍ مُّنْضُودٍ مُّسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَبِيعِي } أي المصر على فعلهم يترقب أن ينزل به ما نزل بهم؛ ولهذا ذكر بعض العلماء أن عقوبة فاعل فاحشة اللواط فعل قوم لوط أنه يلقي على رأسه من أعلى شاهق، أو من أعلى بناء في البلد، ثم يتبع الحجارة تشبيها بما حصل لقوم لوط من هذه العقوبة . كذلك قوم شعيب أهلكهم الله تعالى بالظلمة وذلك أنهم أصابهم حر شديد وغم بسبب أنهم كذبوا شعيبا فمرت بهم سحابة فاعتقدوا أن بها ظلا يريحون به أنفسهم ويبرددهم، فلما اجتمعوا بها نزل عليهم بها نار فأحرقهم فماتوا عقوبة لهم لما كذبوا بنبيهم، وحكى الله -تعالى أيضا- ما عاقب الله به قوم فرعون عندما أغرقهم وقوم موسى ينظرون إليهم حيث دخلوا البحر، فلما تكاملوا فيه أمره الله -تعالى- فانطبق عليهم فذهبت أرواحهم للحرق وأجسادهم للغرق، كذلك -أيضا- ذكر الله -عز وجل- ما عاقب به قوم موسى الذين هم أصحاب موسى لما لم يطيعوه على دخول القرية فعاقبهم الله -تعالى- بالتيه أربعين سنة يتيهون في الأرض لا يهتدون سبيلا ولا يدرون أين يتوجهون لما عصوه في معصية واحدة وهي قولهم : { قَادُ هَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ } تتذكر أن هذه العقوبة من آثار عقوبات المعاصي ونحوها، تلك المعاصي التي قد يكون سببها الجهل والإعراض عن الشريعة التي خلق الإنسان لها وأمر بها.